الحبر الأعظم والأقانيم الثلاثة

الشيخ
محمد علي الحاج

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الحبر الأعظم والأقانيم الثلاثة

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

والثالوث:

حركة أمل، السيد محمد حسين فضل الله، حزب الله

بقلم

الشيخ محمد علي الحاج

بيروت ـ لبنان

٢٠٠٤م

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

إهـداء

لرجلين اقترن اسم كلّ منهما بالآخر

رحل الأول، فكان رحيله ناقصاً، وبقي جزء منه في الدنيا.

وبقي الثاني، فكان بقاؤه باهتاً، وكأنما شيئاً منه قد رحل.

لم يعرف الأول سوى الله والثاني.

ولم يعرف الثاني سوى الله والأول.

اتفقا على كلّ شيء، فكان اتفاقهما في البداية على التعاون، فكانا رمزاً وقدوةً لمن تعاون.. ثم اتفقا ثانيةً على أن لا يتفقا، فانقطعت علاقتهما ولعب بهما حثالة خلق الله وأحطّهم !!

غفر الله للشيخ، وحشره مع السلف الصالح. وأطال الله بعمر السيّد، فإنه البقية الباقية من العلماء الأعلام في هذه البلاد.

أم القرى للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

مقدّمة

يُظلم الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين عند الحديث عنه، وذلك باعتبار أن المتحدثين عنه يجملون كلامهم حوله، والإجمال في التقييم يستلزم مزج العلم مع الأخلاق والسلوك، مع النشاط والعمل، مع التقوى والورع..، في حين المفروض تحليل الشخصية، والتفريق بين الحيثيات التي يُقَيّمُ من خلالها وهذا حال الراحل، حيث أن كيفية تعاطيه مع الناس كانت طاغية على الجوانب الأخرى أثناء تقييمه.

ما تقدم كان سبباً أولاً دعاني للكتابة عنه قدس سره، أمّا السبب الثاني، فهو إظهار بعض الحقائق التي نراها تندثر بمرور الزمن، وتبيين علاقة الراحل ـ في مختلف الفترات الزمنية ـ بالبعض، الذين يريدون إلغاء هذه الأمور من ذاكرتهم، إلاّ أنه كان الأجدى بهم أن لا يخافوا من تاريخ هم صنعوه، ولا من مواقف وأحداث فعلوها !!

كما وأنني لم أكتب عنه في أثناء حياته؛ حتى لا يصدر مني مدحاً به ـ طبعاً على الصعيد الفكري ـ فيُعد ذلك تملقاً له، ويُصوّر وكأنه تقرباً منه، (حيث أنه كان يعتبرني من أتباع ومحازبي السيد محمد

Documentation & Research

حسين فضل الله، الأمر الذي دعاه لقطع جميع مجالات التعاون فيما بيننا وبينه).

وقد يسأل سائل، ما الهدف من ذكر أمور أصبحت من الماضي؟ أجيب بأن الهدف منها هو محاولة متواضعة في مجال كتابة بعض الأحداث، بصورة حقيقية غير خاضعة لحسابات شخصية أو سياسية، وحينها لا نطمس أموراً قد تغير تاريخ حقبة معيّنة!!! علّنا نستفيد لاحقاً، من تجاربنا السابقة، فتكون عبرةً لنا نعتبر منها.

محمد علي الحاج الأسدي العاملي

سبنيه ـ بعبدا ـ ٢٠صفر/ ١٤٢٥هـ

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

بعد الرحيل

ثلاثة أعوام على الرحيل قد مضت، انجلت خلالها الكثير من الحقائق، فهو كالنعمة التي لا يُعرف قدرها إلاّ عند فقدها، كان قد ملأ حياته علماً وعملاً، فانعكس ذلك إيجاباً على الوضع العام للطائفة، كنتَ تراه محاضراً هنا وهناك، متنقلاً من مسجد، لجامعة، لمنتدى، لإذاعة أو تلفاز.. لمهرجان أو احتفال أو ندوة أو مؤتمر أو محاضرة أو محاورة.. كما وكنت تقرأ له كتاباً جديداً أو مقالةً في صحيفة.. تسمعُ رأيه وموقفه في كل الأحداث والتغيرات والتطورات.. كما وتجده في كل البلدان، فتارة في أمريكا وأخرى في الكويت والبحرين وسوريا ومصر وقطر والأردن والإمارات ...

فلم نعرف أهميته، ولم نستطع أن ندرك ضرورة وجوده إلاّ بعد أن رحل عنّا، فعرفنا كم الطائفة بحاجة له ولأمثاله.

رحل فتخبطت الطائفة بعضها ببعض، ولم تستطع تسمية البديل ـ فضلاً عن انتاجه ـ فالكلّ يغني على ليلاه، طرف يطالب بتغير القانون بإسقاط شرط الاجتهاد لعدم توفره، وآخر مع بقاء هذا الشرط وتسمية من لا يتوفر فيه، وفريق ثالث يدعون توفره فيهم وهم أبعد ما يكون عنه، وآخرون يطالبون بإلغاء المجلس من أساسه (وبالتالي الرئاسة والرئيس) وهكذا دواليك ...

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

أفضلية الشيخ شمس الدين على أقرانه العلماء

إنّ أغلبية العلماء الشيعة من الطبقة العلمية المقبولة والعادية، ولكن بعضهم قد وصل لمرحلة الاجتهاد (وعددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليدين في لبنان) وعدد قليل آخر منهم يتمتع باطلاع وبُعد نظر سياسي، وآخر ـ أيضاً ـ لديه عمق فكري.

وقد لا تجد عالماً يجمع بين الصفات الثلاث ـ الآنفة الذكر ـ إلاّ أن الراحل الكبير قد جمع بينها، فقد كان فقيهاً من الفقهاء الكبار في العالم الشيعي، وسياسياً حتى عدّ من أعلم الفقهاء الشيعة بالسياسة، ومفكراً حيث أن له صولات وجولات في هذا الميدان.

إضافة لما تقدم، فقد حقّق الراحل انجازات أثناء رئاسته للمجلس، فقد أسس أول جامعة إسلامية ـ شيعية في لبنان، (هي الجامعة الإسلامية). مضافاً لمؤسسات أخرى قد أسّسها (منها: المعهد الفني الإسلامي، ومعهد الشهيد الأول للدراسات الإسلامية، ومدرسة الضحى، ومبرة السيدة زينب..).

كما وأنه كان لديه اهتمام كبير بالأقليات الشيعية في البلدان العربية، سواءً في مصر أو البحرين أو سوريا.. وكان يعمل على التواصل معهم، والاهتمام بشؤونهم وأوضاعهم، هذه الأمور كانت ميّزت الراحل عن أقرانه وأمثاله من العلماء.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

معوقات نجاح الشيخ في المجلس

عمل الشيخ منذ تسلّمه زمام الأمور في المجلس على جعله الإطار الذي يجمع كل أبناء الطائفة، ويرعاهم ويمثّلهم وينطق باسمهم، وينظم أوقاف الطائفة، ويدير مؤسساتها، ويكون بمثابة الأب لجميع تيارات الطائفة وشخصياتها وأحزابها، إلاّ أن محاولاته (رحمه الله) باءت بالفشل لأكثر من سبب:

الأول: وجود بعض الشخصيات والتيارات ـ ضمن الطائفة ـ لا تعترف بالمجلس، ولا تأخذه بعين الاعتبار. وهذا الأمر طبيعي أمام كلّ طرح جديد، فشيء جديد على الوضع الشيعي مجلس رسمي له ارتباط بالدولة، فلم يكن للشيعة سابقة تاريخية كسابقة المجلس في لبنان، كل ما في الأمر أن الشيعة كانوا يرجعون لمراجعهم الدينية، الذين كان لديهم بعض المساعدين والمستشارين، دون أن يكون لهم إطار مؤسساتي.

الثاني: عدم امتلاك المجلس لإمكانات مالية بحجم مسؤولياته، مع وجود أطراف (في الطائفة) تفوق قدراتها المالية قدرات المجلس بعشرات المرات، مما جعل تلك الأطراف تتفوق على المجلس.

الثالث: أسلوب الراحل في التعامل مع أبناء طائفته، حيث أنه كان يريد منهم أن ينظروا إليه كما كانوا ينظرون لسلفه الإمام الصدر، وأن

Documentation & Research

يعاملوه كما كانوا يعاملون الإمام الصدر. علماً بأن نمط التعامل مع الناس، والنهج السياسي، وأسلوب العمل، والشأنية والمكانة، وقدرة التأثير والكرزما، تختلف لدى كل من الإمامين الصدر وشمس الدين، حيث كان الأخير يريد من الشيعة البيعة والولاء، وإلاّ فإنه كان يعاديهم، زيادةً على ذلك فإنه لم يُخضع هذا الأمر للحوار والنقاش. حيث أوجد هذا السبب (الثالث) حاجزاً بين الشيخ والكثيرين.

الرابع: عدم استطاعة الشيخ على أن يكون على مسافةٍ واحدة من جميع أبناء الطائفة، الأمر الذي يجب أن يقوم به من يريد أن يكون القائد والأب الذي ينضوي تحت عباءته كل أبنائه.

فقد كان ﷺ ينحاز للبعض دون غيرهم، وهذا يتنافى مع موقعه الأبوي المفترض أن يكون فيه.

أم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الإمام والفترة العصيبة

تولى الشيخ شمس الدين رئاسة المجلس الشيعي الأعلى في العام ١٩٧٥، واستمر حتى اختطاف السيد موسى الصدر في العام ١٩٧٨، ثمّ قام بشؤون الرئاسة كنائب للرئيس (في ظل غياب الرئيس) حتى العام ١٩٩٤، حيث بلغ الإمام الصدر سن التقاعد، فجرت انتخابات للرئاسة عُيِّن على أثرها الراحل رئيساً للمجلس.

وكان قدر الراحل أن يتولى المهمتين (الرئاسة ونيابتها) في فترة انعطاف وتحول في تاريخ الشيعة في العالم، ـ الأمر الذي أدى لانعكاسات على الوضع الشيعي الداخلي ـ بدءاً من إيران حيث نشوء أول دولة شيعية، مروراً بالعراق والوضع السيء المتردي الذي حلّ بالشيعة هناك، وصولاً للبنان وبداية صعود تيارات سياسية شيعية هيمنت فيما بعد على جزء كبير من القرار السياسي اللبناني، وتجاوزت قوتها جدران الطائفة.

وهذا التغير الكبير في الوضع الشيعي العام، انعكس على شيعة لبنان، فالشيعة ـ تقليدياً ـ يرجعون للنجف الأشرف كمركز للمرجعية الدينية، ومنها يتخرج طلبة العلوم الدينية اللبنانيين والإيرانيين وغيرهم، وفيها مراجع التقليد والمجتهدين.. وفي ذلك الجو برز انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتأسيس دولة إسلامية ـ شيعية، تمثل قوة عسكرية وسياسية واقتصادية في المنطقة، فكان لا بدّ لهذه

Documentation & Research

الدولة الفتية من نافذة لتطل بها على العالم من خلالها، (بعد أن اختُلِقَ لها مشكلة مع العراق) فلم يكن لديها سوى التعامل مع شريحة معينة من شيعة لبنان، الأمر الذي أدى لانقسام الشيعة لفرقتين: أولى مع التعامل مع إيران (وفي نفس الوقت مستفيدة منها) وأخرى ترفض ذلك (ومعظم أفرادها غير مستفيدين منها).

إن طبيعة تغير مركز القرار على مستوى الطائفة الشيعية، يؤدي لتعدد الآراء حول بوصلة الانتماء، فشيعة العراق وشيعة إيران يشكلان تكتلاً بشرياً مهماً على مستوى الطائفة في العالم، ولذلك فعلى شيعة الشتات (في لبنان وسوريا والكويت ومصر والسعودية والبحرين ...) أن يتخذوا قبلة لهم، فإما أن تكون نحو إيران، أو باتجاه العراق.

ومما كان سبباً لوجود خلافات ضمن الطائفة ـ زيادة عما تقدم ـ هو التنوع الطائفي الموجود في لبنان. حيث أن أي أمر يطرأ على إحدى طوائف لبنان؛ يؤثر مباشرة على الطوائف الأخرى، وذلك لوحدة المجتمع الموجودين فيه، الذي يفرض عليهم التفاعل مع بعضهم، والتعامل فيما بينهم. فبعد ازدياد حدّة النفوذ السوري في لبنان ـ حتى وصل لقمته ـ تغير وضع الموازنة ـ الطائفة الأولى في لبنان سابقاً ـ حيث أن بعض قياداتهم راهنوا على اسرائيل، مما دفع بالسوريين لمحاربتهم، ومحاولة تقليص دورهم، ثم التعامل مع

Documentation & Research

غيرهم، لتنفيذ المآرب السورية في الصراع مع اسرائيل، فأدى ذلك لما يُسمى بـ "الإحباط المسيحي"، حيث بقي جزء من سياسي الشيعة على ولائه لـ "أولياء نعمته" الموارنة. فحشرتهم سوريا مع من تولوا. وجزء آخر (من سياسي الشيعة) استفاد من هذا التغيير، حيث أنه لم يكن لديه موطئ قدم في التركيبة البائدة، فساروا في التوجه السوري، وأخذوا يؤدوا فرائضهم اليومية، وطقوسهم العبادية باتجاه "مالك الملك، الذي يؤتى الملك من يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، وهو على كل شيء قدير" عسى أن يستجاب دعاؤهم، فيبعثوا مقاماً محموداً.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الإمام والثالوث المقدس

طبيعة المهام التي تولاها الشيخ محمد مهدي شمس الدين (في المجلس الشيعي) كانت تفرض عليه ـ بطريقة وبأخرى ـ التعامل مع ثالوث الطائفة الشيعية: حركة أمل، والسيد محمد حسين فضل الله، وحزب الله (الأب والاخ والروح القدس)، وللأمانة التاريخية فإنني سأوجز العلاقة بينهم وبين الشيخ، حتى نكون قد قدّمنا صورة عن الوضع الشيعي العام في الطائفة، فيتبين من خلال ذلك أسباب المشكلة مع الأقانيم الثلاثة، سواءً من جهة الشيخ أو من جهتهم.

قبل الحديث عن ذلك، لا بدّ من الإشارة إلى أن الشيخ الراحل (قده) كان معادياً ومحارباً للحزبية، وكان يصرح بذلك دائماً، مزيداً على ذلك، كان يحذر من سيطرة الأحزاب على المجلس الشيعي، الذي يجب ـ حسب قوله ورأيه ـ أن يبقى بعيداً عن الأحزاب، بل المفروض أن تجتمع تحت عباءته جميع أحزاب الطائفة. ومن المعلوم ـ أيضاً ـ أنه ﷺ لم ينخرط في أي تنظيم على الإطلاق.

هذا التوجه ـ لدى الشيخ ـ أوجد له مشكلة في الكيفية التي يريد أن يعاملوه بها الأحزاب، ويعاملهم بها. فكان يعمل جاهداً على إبعاد العلماء أصحاب التوجهات الحزبية، عن المناصب الدينية في الإفتاء والقضاء.. اللهم إلاّ من جعل له شريكاً بإحدى التوجهات الحزبية، وكانت البركة الرسولية قد شملته!!

التوثيق للأبحاث
Documentation & Research

أ ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين وحركة أمل:

غاب الإمام موسى الصدر تاركاً وراءه فراغاً كبيراً في الساحة اللبنانية، فهو رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ورئيس حركة أمل، إضافة إلى أنه كان قد ملأ حيّزاً كبيراً على المستوى السياسي، وأخذ مكانة رفيعة ضمن المعادلة اللبنانية.

هذا الأمر، كان قد أوجد مشكلة في الطائفة بعد غيابه، تتمثل هذه المشكلة فيمن يملأ الفراغ، هل يكون نائب الإمام في رئاسة المجلس الشيعي خليفة له؟ أو من يخلفه في رئاسة حركة أمل؟..

خصوصاً وإن الإمام شمس الدين كان يعتبر نفسه الخليفة الشرعي للإمام السيد موسى الصدر، ومن المفترض ـ برأيه ـ أن يملأ الفراغ الذي أحدثه اختطاف السيد الصدر.

والحقيقة أن المجلس الشيعي وحركة أمل من تأسيس الإمام الصدر، إلاّ أن كلاً منهما مستقل عن الآخر، فلا دخل لرئاسة السيد موسى الصدر للمجلس الشيعي برئاسته لحركة أمل، فكل منهما مستقل عن الآخر.

أما قناعات الشيخ شمس الدين فقد ولّدت له أزمةً مع حركة أمل، مما جعل علاقة الطرفين بين مدّ وجزر، ووصل الخلاف العلني لذروته عندما رفع الشيخ شمس الدين الغطاء الشرعي عن حركة أمل، وأعلن المقاومة المدنية الشاملة، في مقابل أفواج المقاومة

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

اللبنانية ـ أمل ، إلاّ أن الراحل ختم حياته بعلاقة طيبة "ظاهراً" مع الحركة ورئيسها، وإن كان لديه الكثير من الانتقادات والتحفظات على الحركة، خصوصاً بالنسبة لموضوع التمديد الذي جرى للشيخ في ١٩٩٩/٦/١٨، حيث أنه تم تمديد ولايته ست سنوات، في حين أنه كان يعتبر أن من المفترض أن يمدد له مدى الحياة؛ احتراماً وتقديراً له ولدوره ومقامه، ولذلك فقد أقام الدنيا ولم يقعدها "في مجالسه الخاصة" على عرّاب التمديد نبيه بري، بالنسبة لهذا الموضوع. (وغاب عنه أن تمديد ست سنوات قد يكون أكثر من مدى الحياة ـ كما حصل معه بالفعل ـ فلم تمضِ سنة ونصف حتى فارقت روحه جسده، تاركاً الدنيا وما فيها، ومنفعه أربع سنوات ونصف في رئاسة المجلس!!!).

أما ما كانت تعلنه الحركة، فهو أن الأطارين (الحركة والمجلس) من تأسيس الإمام موسى الصدر، وبناءً لذلك فواجب الوفاء منهما للمؤسس أن يسود بينهما أوطد العلاقات وأمتنها، وأن تنتشر بينهما الروح الأخوية، وأن لا تطغى الحركة على المجلس، ولا العكس، فلا رئيس ولا مرؤوس بينهما.

وإن كانت الحركة ـ عملياً ـ ترى في فكرها ونهجها ومسلكها، تجسيداً لفكر ونهج ومسلك الإمام الصدر، وبالتالي فهي الإطار

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الوحيد ـ برأيها ـ الذي تحمّل مسيرة المغيب، وعلى جميع الصدريين أن يلتحقوا بركبها.

كما وعملت الحركة على محاصرة ومحاربة كل من يتخلف عنها، بما في ذلك المجلس الشيعي، والإمام الرسمي للطائفة ـ آنذاك ـ الشيخ شمس الدين.

ب ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله:

ثلاثة أرباع حياة الإمام شمس الدين قضاها والسيد محمد حسين فضل الله، مولداً ونشاة ودراسة ونشاطاً.. في النجف الأشرف، واستمرت صداقتهما وملازمتهما لبعضهما البعض حتى بعد عودتهما للبنان، إلى أن ساءت العلاقة بينهما في الفترة الأخيرة، واستمرت العلاقة غير ودّية ـ فقط من طرف الشيخ شمس الدين ـ حتى وفاته، أما من جهة السيد فإنه كان دائماً يسعى لتحسين العلاقة مع الشيخ، وإعادتها كما كانت سابقاً، إلاّ أن تلك المساعي كانت تصطدم برفض قاطع من قبل الشيخ.

وهناك عشرات الشواهد على ذلك، ويعرفها القاصي والداني، سأذكر عينة واحدة لكل منهما في كيفية تعاطيه مع الآخر:

عندما سئل الشيخ شمس الدين عن السيد فضل الله (أثناء زيارة الشيخ لأمريكا) أجاب بأن السيد كان وراء القتال الشيعي في لبنان،

Documentation & Research

وأنه لا يعترف به ولا بعلمه.. في حين أن السيد في إحدى مقابلاته الصحفية قال ما نصّه: «..كنت مع الأخ سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي يبدو أنه لا يقبل أخوتي ولكنني أصرّ عليها؛ لأنني ما زلت أحترمه..»[1] وما أوتي على ذكر الشيخ أمام السيد إلاّ وأثنى عليه، والعكس بالعكس، مما يؤكد أن العلاقة كانت غير ودّية من جهة الشيخ دون السيد.

وللحقيقة فإن عدداً من الأطراف والجهات عملوا على تعميق الخلاف بين السيد والشيخ لغاية في نفسهم، فكل منهما يشكّل موقعاً أساسياً في الطائفة، وتحالفهما يؤثر سلباً على جميع الأطراف الباقية، فالسيد يتمتع بقوة شعبية، ويمثل موقعاً دينياً متقدماً في الطائفة، ويحظى بتقدير الجهات السياسية واحترامها. والشيخ يمثّل مرجعية دينية رسمية في لبنان، ويتمتع بعلم وفكر، وله علاقاته على المستوى العربي والإسلامي والدولي.

وتحالف السيد والشيخ يُوجِد حالة جديدة في الطائفة، لا يمكن تجاوزها أو تخطّيها ولا تجاهلها، (وتداركاً لعدم حصول ذلك كان هناك قسماً كبيراً من المأجورين شغله الشاغل هو الاصطياد في الماء العكر)، مع العلم بأنهما من مدرسة فكرية واحدة، وكثير ما تتفق

((١) من مقابلة للصحفي ياسر الحريري أجراها مع السيد محمد حسين فضل الله في جريدة الديار، الصادرة بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢.

Documentation & Research

آرائهما، وقد لا تجد عالم دين أقرب للسيد من الشيخ ـ على المستوى الفكري ـ والعكس صحيح.

هذا ولا ننكر وجود مشكلة حقيقية بينهما، إلاّ أنهما لم يصرّحا عن سببها، وكانا دائماً يتهربان من الجواب عن الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع؛ إذن مع سكوت الطرفين عن سبب خلافهما لا يبقى لدينا سوى التحليل والاستنتاج غير مضموني صحة النتيجة.

إن وجود السيد فضل الله كان يشكل عائقاً أمام الشيخ شمس الدين في إمامة وقيادة الطائفة، وأمام تزعم الشيخ الشيعة على المستوى الديني، فلم يستطع ﷺ استيعاب وجود السيد في الساحة اللبنانية، خصوصاً وأن السيد ـ ومن دون أي منصب أو موقع رسمي ـ أصبح يشكل موقعاً إسلامياً مرموقاً، فهو الزعيم الروحي لشرائح كبيرة من الشعوب الإسلامية والعربية، فضلاً عن كونه المرشد الروحي للتيارات والشخصيات الإسلامية في لبنان، مضافاً لأنه كان قد طرح مرجعيّته، التي لاقت استحساناً وتجاوباً في أكثر من مكان في العالم، وهو متصدر واجهة المقاومين في مواجهة اسرائيل، ومحط أنظار الدبلوماسيات الدولية، ولديه الكثير من المؤسسات التربوية، والمراكز الصحية والدينية، والحوزات العلمية، والمبرات الخيرية، والوسائل الإعلامية.. وبالتالي فإنه يشكل تياراً أكبر من حزب وأصغر من دولة.

للتوثيق والأبحاث

Documentation & Research

ومن أجل ذلك فقد عمل الراحل على محاربة السيد محاولاً تحجيمه، في حين أن السيد لم يكن يطرح نفسه لأي موقع، بل كل ما في الأمر أن طبيعة نشاط السيد، وتصديه للأمور الشرعية والدينية، وعمله الجدي والدؤوب في المجال التبليغي والإرشادي، بالإضافة لرعايته لألوف الأيتام والمعوزين، ومساعدته لألوف الفقراء، كل ذلك جعل الناس تلتفّ حوله فأصبح رقماً صعباً، ليس ضمن الطائفة ـ فحسب ـ بل ضمن المعادلة اللبنانية.

عواقب الخلاف بين السيد والشيخ:

لا بدّ من الإشارة إلى أن سوء التفاهم الذي كان سائداً بين السيد والشيخ قد أضاع الكثير من المنافع، وفوّت العديد من الفُرص، وأوقع ضرراً بالغاً بالطائفة، واستفاد من ذلك بعض المغرضين والفاشلين الذين لا يصلحون لأي عمل يعود بالمنفعة العامة، فأخذ الهمج الرعاع "الذين لم يستضيئوا بنور الفهم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق" بالنعق تارة ضد السيد ابتغاء حفنة من المال، وبالنعق أخرى ضد الشيخ للهدف ذاته، وللحقيقة فإنه من غير المعقول تحميل المسؤولية لأولئك الهمج وحدهم، دون أولياء نعمتهم الذين أنزلوا عليهم بركاتهم بهدف الدفاع عنهم وتبجيلهم وتمجيدهم، وتشويه صورة الطرف الآخر!!!

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ج ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين وحزب الله:

يمكننا أن نقسّم علاقة الراحل بالحزب بمراحل ثلاث (وذلك ابتداءً من تصادم الشيخ بالحزب واحتكاكه بهم).

١ـ المرحلة الأولى: وهي الفترة التي أظهر فيها الراحل عدائه العلني للحزب، وقد كانت محاربته لهم في هذه الفترة شعواء لا هوادة فيها، وأساس ذلك هو أن للحزب رؤية وعقيدة معينة تجاه ولاية الفقيه، وبعبارة أخرى أن الحزب ـ برؤيته هذه ـ لا يعني له الشيخ شمس الدين ولا المجلس الشيعي أي شيء، باعتبار أن الولي الفقيه هو نائب الإمام الحجة عجل الله فرجه وبالتالي فولاية الفقيه هي استمرار للإمامة التي هي استمرار للنبوة، يعني أنها ولاية دينية مستمدة من الله عزّ وجلّ، على عكس المجلس الشيعي المستمد ولايته من الدولة الظالمة ـ آنذاك[1] ـ .

---

(١) حيث أن الحزب لم يكن يعتقد بشرعية المجلس، ودلالة على ذلك؛ إليك النص التالي للجنة المبعدين من جبل عامل، التي هي ضمن توجهات وأجواء الحزب: "تركز بيانات المجلس الشيعي على أن الإطار النهائي للشيعة هو المجلس، ونسأل مجدداً من أين جاءت للمجلس هذه الشرعية، هل جاءت من تمديد سركيس ولاية الشيخ شمس الدين. إننا نصرّ على أن الإطار النهائي للمسلمين الشيعة هو المرجعية الرّشيدة المتمثلة الآن بالإمام الخميني(حفظه الله)، وعلى المسلمين أن يختاروا بين مرجعية سركيس وأمثاله ومرجعية الفقيه الجامع للشرائط".
في مواجهة المؤامرة.. أحداث ومواقف.. العدد الثالث ـ ص ٥٥.

Documentation & Research

وقد كانت هذه المرحلة حافلة بالمعارك التي استخدمت فيها جميع وسائل الحرب، من سباب وشتائم وتراشق إعلامي، إلى تأييد الإمام الراحل لحركة أمل في قتالها العسكري الدموي ضد حزب الله، إلى تحميل الحزب الشيخ شمس الدين المسؤولية عن الكثير من المعارك، إلى إعطاء الشيخ أوامره لحركة أمل لمنع المعممين من مزاولة مهمتهم في التبليغ حتى يأخذوا منه إذناً خطياً (مُوَجهاً هذا القرار ضد الحزب ومعمميه).

كما وأن الحزب لم يكن يعترف ـ في هذه المرحلة ـ بالمجلس الشيعي ولا يعتقد بشرعيته، ويعتبر أن عمله هو كونه إطاراً يُعطي شرعيةً لحركة أمل في قتالها ضد حزب الله فقط لا غير[1].

٢ـ المرحلة الثانية: أما المرحلة الثانية، وهي مرحلة الهدنة بين الطرفين، والتي كان من ضمنها انتخاب الشيخ شمس الدين رئيساً أصيلاً للمجلس، فقد رافقها أجواء في الطائفة تفرض وجود توافق بين أبناء الطائفة، مدعومة هذه التوجهات من كلٍ من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والجمهورية العربية السورية.

---

(١) ورد في نفس المصدر السابق، صفحة ٥٧ ما نصه: "تواصل حركة أمل تمزيق وحدة الصف وتعميق الجرح مستغلة انحياز المجلس الشيعي وتحزبه ..." وورد في الصفحة ٥٤: "... علما بأننا عند قناعاتنا بأن المجلس الشيعي بعد غياب الإمام الصدر فقد مبرر وجوده إنه مسجد ضرار ونافذة للموارنة للتسلط على رقابنا ليس إلا".

Documentation & Research

وفي هذه المرحلة، اعترف الحزب بالمجلس، وشارك عبر نوابه ـ الأعضاء حكماً في الهيئة التنفيذية، والتي من صلاحياتها انتخاب الرئيس ونائبيه ـ بانتخاب الشيخ شمس الدين رئيساً للمجلس والشيخ قبلان نائباً أولاً له، بعد ذلك تمّ تعيين عضو شورى حزب الله الشيخ محمد يزبك عضواً في الهيئة الشرعية.

ولم ترقَ العلاقة بينهما في هذه المرحلة لمستوى التعاون والتنسيق، ولا إلى تصفية القلوب من الخلفيات العدائية بينهما، كل ما في الأمر أنهما لم يظهرا عدائهما، وبقيَ كلّ منهما ينتقد الآخر في مجالسه الخاصة.

وأما بالنسبة لأعتراف الحزب بالمجلس، فقد بقيَ اعترافاً سطحياً وصوريّاً، فالشيخ يفرض سلفاً اعتباره السقف الشيعي الديني، ووجهة نظر الحزب ـ الموالي لإيران ـ معروفة سلفاً.

وأما مشاركة الحزب في المجلس، عبر انتخابه للرئيس، وقبوله تعين أحد قياديه عضواً فيه، بالإضافة لحضور نوابه لاجتماعات المجلس الشيعي، فقد كان من باب "عدم التغريد خارج السرب"، ولكي لا يُعتبروا متخلفين عن مسيرة "المصالحة الوطنية" التي تفرض عليهم تناسي الماضي الأليم، المليء بأجواء الحقد والضغينة.

٣ـ المرحلة الثالثة: وأما المرحلة الثالثة، والتي انتهت بوفاة الشيخ، فقد ارتقت العلاقة بين الشيخ والحزب لمستوى التنسيق، فقد حدث

Documentation & Research

بينهما بعض اللقاءات والاتصالات والزيارات، واختلفت نظرة كلّ منهما للآخر.

فبعد أن تركز وضع الحزب في المعادلة اللبنانية، وأصبح له حضوراً كبيراً على الصعيدين الشعبي والسياسي، وأضحى الحزب ـ عبر مقاومته ـ شريكاً أساسياً في القرار السياسي في المنطقة، وانعكس الدعم الإيراني ـ سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ـ لسوريا دعماً سوريّاً لحزب الله... كل ذلك دفع بالشيخ لتغيير أسلوبه مع الحزب "لا رأيه فيهم" والتأقلم مع الوضع الجديد. كذلك فعل الطرف الآخر، فقد عمد الحزب ـ تكتيكياً ـ لتغير نمطه في التعاطي مع الشيخ، باعتبار أن ذلك من متطلبات ومقتضيات المرحلة، فمرحلة وجود الدولة تختلف عن زمن عدم وجودها ـ والمجلس الشيعي من مؤسسات الدولة ـ وتوصّل الحزب لقناعة مفادها أن مصلحته ليست في الوقوف بوجه المجلس الشيعي ورئيسه، حيث أن ذلك لن يجدِ نفعاً بل عليه أن يعمل للدخول بالمجلس ـ عبر هيئتيه ـ وبالتالي يصبح أحد الأطراف المشاركة في صنع القرار ضمن المجلس، وذلك دفع بالأمين العام الحالي للحزب السيد نصر الله للمطالبة مراراً بإجراء انتخابات للمجلس، محاولاً بذلك إدخال حزبه فيه من الباب الواسع.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

المرحلة الأخيرة:

وتبدأ هذه المرحلة من حين وفاة الشيخ، وتنتهي بانتهاء الدهر، وهذه المرحلة هي أفضل من المراحل السابقة، ويسودها السكون والهدوء والاطمئنان بل والمحبة.

فالحزب كعادته "يعض على الجراح" وكما كان دائماً يُغلِّب المصلحة العامةعلى الخاصة! ولا يرى أية مصلحة بنبش الماضي الأليم! ويفضل عدم ذكر الشيخ بأي سوء! خصوصاً وأن الحديث الشريف يقول: "إذكروا محاسن موتاكم".

وأما من جهة الشيخ، فإنه فضَّل السكوت عن هذه الدار الفانية!!! ولا أدري لو أنّ التطور العلمي في مجال الاتصالات سمح للشيخ بالاتصال بنا، فماذا كان سيقول؟؟؟

أسأل الله لي وللجميع حسن العاقبة.

أم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

التوافق على الشيخ رئيساً للمجلس

بعد الحديث عن علاقة الشيخ "التي لا يُحسد عليها" مع أركان الطائفة وأصحاب القرار فيها، يتبادر لأذهاننا سؤال وهو ما الذي أتى بالشيخ رئيساً، في ظل هذه العلاقة المتوترة مع التيارين الأقوى الناخبين لرئيس المجلس، حزب الله وحركة أمل؟

هناك عدة أسباب:

الأول: تماشياً مع القرار السياسي المتخذ من صانِعَي القرار السياسي الشيعي اللبناني، القيادتين الإيرانية والسورية. وذلك بهدف إشاعة روح التوافق والتعاون في المجتمع الشيعي المقاوم، لتفويت أية فرصة على إسرائيل (باعتبار أن أي خلاف بين شيعة لبنان سينعكس سلباً على سوريا وإيران، ويؤخرهما في قتالهما لإسرائيل، عندها تضعف سوريا المتصدرة لواجهة الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وإيران الداعمة للقضاء على إسرائيل).

حيث أن العمل على انتخاب رئيس جديد للمجلس ـ غير الشيخ ـ سيوجد مشكلةً في الطائفة، فليس من السهل تخلي الشيخ عن المجلس. وذلك في حين كان الوقت الذي تعين فيه الشيخ ـ رئيساً أصيلاً ـ حرجاً جداً وضاغطاً، ولا يتحمل أية خضة قد تحدث إرباكاً.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الثاني: كون الشيخ "حل وسط" بين الحزب وأمل، حيث أنه يُعتبر فريق ثالث، فيكون ﷺ نقطة إلتقاء وتوافق بينهما. خصوصاً وأن الحزب في ذلك الظرف لم يكن يستطيع الأتيان برئيس منه أو له، فيكون غير المحزب بأمل ـ كالشيخ شمس الدين ـ أفضل من الحزبي الأملي بالنسبة لحزب الله. وفي الجهة الثانية فإن الرئيس بري لا يستطيع أن يأتي برئيس من حركة أمل إلا وأن يعين نائبه من حزب الله، فيكون الأفضل له تعين الشيخ شمس الدين رئيسا، ونائبه من حركة أمل (الشيخ قبلان) وبذلك يكون قد أبعد الحزب عن المراكز القيادية في المجلس.

فاختيار الحزب وأمل للشيخ شمس الدين هو من باب "خيارين أحلاهما مر".

الثالث: من المعلوم أنه عندما حان وقت انتخاب رئيس للمجلس، كان قد مضى على الشيخ شمس الدين نائباً للرئيس ٢٠ عاماً، مما جعله الأوفر حظاً لتولي منصب الرئاسة، وذلك لكونه الأعرف بتركيبة المجلس، والأكفأ في إدارته.

مضافاً إلى أنه ﷺ كان قد سيطر على المجلس سيطرةً كاملةً، وهيمن على ممتلكاته وأجهزته وموظفيه...، حتى أصبح المجلس كمؤسسة لشخص الشيخ، وكجمعية خاصة، فعمد الإخوة في الحركة والحزب ـ كلٌ على حدة ـ للتخطيط للسيطرة على المجلس تدريجياً

Documentation & Research

ومرحلياً، وعرفوا أن تسلمهما لرئاسة المجلس مع إخراج الشيخ منه؛ فيه الكثير من العقبات.

كلمة لا بد منها:

كل ما تقدم كان سبباً للتوافق على انتخاب الشيخ رئيساً للمجلس، وقد يكون هنالك أسباب أخرى، إلا أن المعلوم أنه لم يكن مستوى الشيخ العلمي والفكري هو الذي دفعهم لانتخابه وقد يكون أي شيء أدى لانتخابه إلا هذا السبب.

خصوصاً وأن هناك تجربة لاحقة تحصل الآن، فلم يعد هناك ما يضغط على الحزب وأمل بتعين أيٍ كان، (حيث أنهما أصبحا أخطبوطين قد استوليا على قرار الطائفة وصادراه من دون منازع) مع ذلك فهما يسعيان جاهدين لتعيين الشيخ قبلان رئيساً للمجلس، في حين أن مستواه العلمي معروف!

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الشيخ شمس الدين

بين سلفه وخلفه

ترأس الإمام موسى الصدر المجلس الشيعي من العام ١٩٦٩ وحتى اختطافه في العام ١٩٧٨، حيث قام مقامه نائبه ـ آنذاك ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين حتى بلوغ الإمام الصدر التقاعد في العام ١٩٩٤، فانتخب حينها الشيخ شمس الدين رئيساً للمجلس، كما وانتخب نائباً له المفتي الشيخ عبد الأمير قبلان، حتى العام ٢٠٠١ حيث توفي الشيخ شمس الدين ويقوم الآن الشيخ قبلان بأمور الرئاسة حتى انتخاب رئيساً أصيلاً، وبذلك يكون قد مرّ على ترأس المجلس (بالأصالة أو بالنيابة) ثلاث شخصيات: الإمام السيد موسى الصدر، والإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والمفتي الشيخ عبد الأمير قبلان[1]. ولعل التاريخ يعيد نفسه فيما يحصل الآن مع الشيخ قبلان، فإنه يقوم بشؤون الرئاسة حتى انتخابه رئيساً ـ كما يظهر ـ وهذا ما حصل سابقاً مع الشيخ شمس الدين.

ولا بأس بإجراء مقارنة بين السيد الصدر والشيخين شمس الدين وقبلان.

---

(١) من المعلوم أن أول نائب رئيس للمجلس الشيعي هو الشيخ سليمان اليحفوفي، حيث أنه تولى أول دورة (من العام ١٩٦٩ حتى العام ١٩٧٥) ثم خلفه الشيخ شمس الدين.

التوثيق والأبحاث
Documentation & Research

يتميز السيد موسى الصدر عن خَلَفَيه بأنه كان يتمتع بتأييد شعبي كبير، حيث التفّ حوله أبناء الطائفة الشيعية في لبنان، واعتبروه المخلص لهم. كما وقد كان السيد الصدر ذا حركة دائمة لا تهدأ، (فقد أنشأ مؤسسات، وبنى مساجد ومدارس... وكانت لديه حركة اتصالات وزيارات دولية ومحلية واسعة). هذان الأمران كان يفتقد لهما الشيخان شمس الدين وقبلان.

أما الشيخ شمس الدين، فإنّ أبرز ما يميزه عن سلفه وخلفه هو سعة اطلاعه وعمقه العلمي، ودقته في فهم الأمور، وإن كان مستوى السيد موسى الصدر متقدماً إلا أنه يبقى دون المستوى العلمي للشيخ شمس الدين.

كما ويؤخذ على الشيخ سوء تصرفه مع الناس، وعدم احترامه لأحد ـ إلا أن يلائم مزاجه ـ فكانت مزاجيته مستحكمةً فيه، كما ويؤخذ عليه كرهه ومعاداته لمن يخالفه الرأي أو ينتقده.

وأما الشيخ قبلان فتتميز شخصيته عن شخصيّة سَلَفَيه، بتواضعه وبساطته، وحسن تعامله مع الناس وخدمته لهم، ومحبته للفقراء، وعدم رده لسائل.

كما ويؤخذ عليه تحزبه (فهو رئيس الهيئة الشرعية لحركة أمل) كذلك فإنه لم يصل لدرجة علمية مقبولة، هذا فضلاً عن أنه لم يصل لمرحلة الاجتهاد.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

خاتمة

في رحاب الكلام عن آية الله السيد موسى الصدر وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، لا بد من التطرق لموضوع هام وحرج في آنٍ واحد، وهو أن هناك توجهاً في الطائفة على تثبيت سماحة الشيخ قبلان رئيساً للمجلس الشيعي، مع ما يترتب على ذلك من مخالفة صريحة لقانون المجلس، الذي يشترط في الرئيس أن يكون حائزاً على مرتبة الاجتهاد، باعتبار أن هذا المنصب ليس منصباً فخرياً أو وسيلةً للوجاهة، بل إن من يتبوأ هذا المنصب يصبح واجهةً للشيعة ومتصدراً للعلماء، ولا بد أن يكون قد وصل لمرحلة علمية تؤهله لذلك "وأقلها الاجتهاد"[1].

مع إقرارنا بطهارة الشيخ قبلان، وحسن أخلاقه، وخدمته للناس والفقراء، إلا أن تلك الأمور لا تؤهله لهذا المنصب.

ولا سيما وأن للشيخ قبلان منصباً لا يشترط فيه الاجتهاد، (نائب رئيس المجلس الشيعي)، ولم يُشكل ضرورةً أو حاجةً، فضلاً عن أنه

---

(١) قلت أقلها الاجتهاد لأنه برأيي لا بد أن يكون رئيس المجلس الشيعي مضافاً لكونه مجتهداً، يتمتع بثقافة عصرية، وفهم الأمور السياسية، ولديه خبرة بالجانب الاجتماعي... في حين أن الاجتهاد بمعزل عن أي كفاءة أخرى غير كافٍ لتصدر الطائفة.

Documentation & Research

لم يحقق إنجازاً أو نجاحاً يذكر. لا في الإفتاء الجعفري ولا في المجلس الشيعي.

وتعين الشيخ قبلان هو نتيجة توافق بين "حزب الله وحركة أمل" اللذين ينظران لما يحقق مصلحتهما ـ لا مصلحة الطائفة ـ فتعيين الشيخ قبلان فيه مصلحة لهما، ولكن أية مصلحة للشيعة بتعيينه؟ مع الإشارة لأن معظم المحازبين لهما غير مقتنعين به.

أقول هذا، مع علمي بعدم وجود أي تأثير لكلامي، سوى أنني قلت كلمة الحق "مع ما فيها من خسائر" ناصحاً قيادتي حزب الله و حركة أمل بعدم خيانة الله ورسوله والمؤمنين ﴿**فقل اعملوا فيسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾.

متوجهاً لصاحب السماحة الشيخ قبلان بقول لمولاي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: "من طلب الرئاسة لنفسه هلك، فإن الرئاسة لا تصلح، إلا لأهلها".

وبقوله تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾.

أقول قولي هذا واستغفر الله لهم

محمد علي الحاج

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

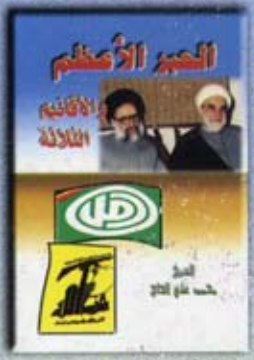

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research